

المكتشفات الأثرية بمنطقة الزاب "موقع سد منبع الغزلان لوطاية نموذجاً"

Découvertes archéologiques dans la région du Zab : le site du barrage de Manbaa al-Ghozlane, L'Outaya, comme modèle

أ.د. / مطروح أم الخير

المركز الوطني للبحث في علم الآثار.

البريد الإلكتروني: oum_cnra@yahoo.fr

الملخص:

يقال إن "رب صدفة خير من ألف ميعاد". فكيف إذا قادت الصدفة إلى اكتشاف معالم أثرية ذات قيمة في العالم العربي. صدفة وثقت تاريخ حضارات عريقة قامت ونشأت في منطقة الزاب، وكانت شاهداً على حقبة زمنية، منها ما كان اكتشافاً فردياً، ومنها ما كان نتيجة تنقيب وبحث، إلا أن ما يجمع الاثنين هو الصدفة.

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على الآثار المكتشفة صدفة في منطقة الزاب وبتحديد "دائرة لوطاية" سد منبع الغزلان.

الكلمات المفتاحية: بسكرة، لوطاية، منبع الغزلان، عناصر معمارية، معاصر الزيتون.

Résumé:

L'objet de la présente recherche est une récente découverte archéologique située dans la commune L'outaya / daïra de L'outaya / wilaya de Biskra berceau des civilisations antiques, musulmanes, riche en monuments et sites archéologiques. Quant au site archéologique de Manbaa el Ghozlane, il a été découvert par la division régionale de la gendarmerie nationale de la Daïra de L'outaya, il contient une ferme de l'époque romaine, avec la présence d'éléments architectoniques qui nous donnent une image claire sur le type d'olivier, aussi la présence des pièces de monnaies antiques qui nous permettent de dater le site.

Mots-clés : Biskra, L'outaya, Manbaa el Ghozlane, ferme de l'époque romaine, éléments architectoniques, huilerie.

لقد أضحى الحفاظ على التراث موضع اهتمام علمي لكونه أحد المقومات السياسية لكشف العمق الحضاري لأي أمة، وإبراز تطورها الثقافي والفكري، كما يعد الدليل المادي لكتابة التاريخ، فبحكم موقع ولاية بسكرة الجغرافي نجدها غنية بمعالم أثرية ضاربة في عمق التاريخ ؛ وهي في حاجة ماسة لدراسة جميع ما تحتضنه من كنوز، وتوثيقها من قبل الجهات ذات العلاقة حتى يتم رصد التاريخ الحقيقي لتلك الآثار الموجودة بالمنطقة. فمن خلال هذا الموضوع الموسوم بعنوان "المكتشفات الأثرية بمنطقة الزاب" موقع سد منبع الغزلان دائرة لوطاية نموذجاً، سوف نستعرض معلماً من معالم بلاد المغرب القديم ألا وهو (سد منبع الغزلان)، فقد أثبتت المنطقة وجود آثار قديمة تحكي تراثاً عريقاً وشاهداً على فترات تاريخية مختلفة مرت بمنطقة بسكرة التي تعتبر مدينة أهم المدن الصحراوية الجزائرية، فهي بوابة الصحراء من الجهة الشمالية، وواحة واسعة ومنطقة إستراحة كممر طبيعي بالغ الأهمية للتبادلات (شمال-جنوب) بين المدن الكبرى بالشمال-الشرقي والمراكز العمرانية المنتشرة بالجنوب الواسع، كما صنفت ضمن المدن ذات النشأة القديمة، تقريباً خلال الفترة الرومانية.

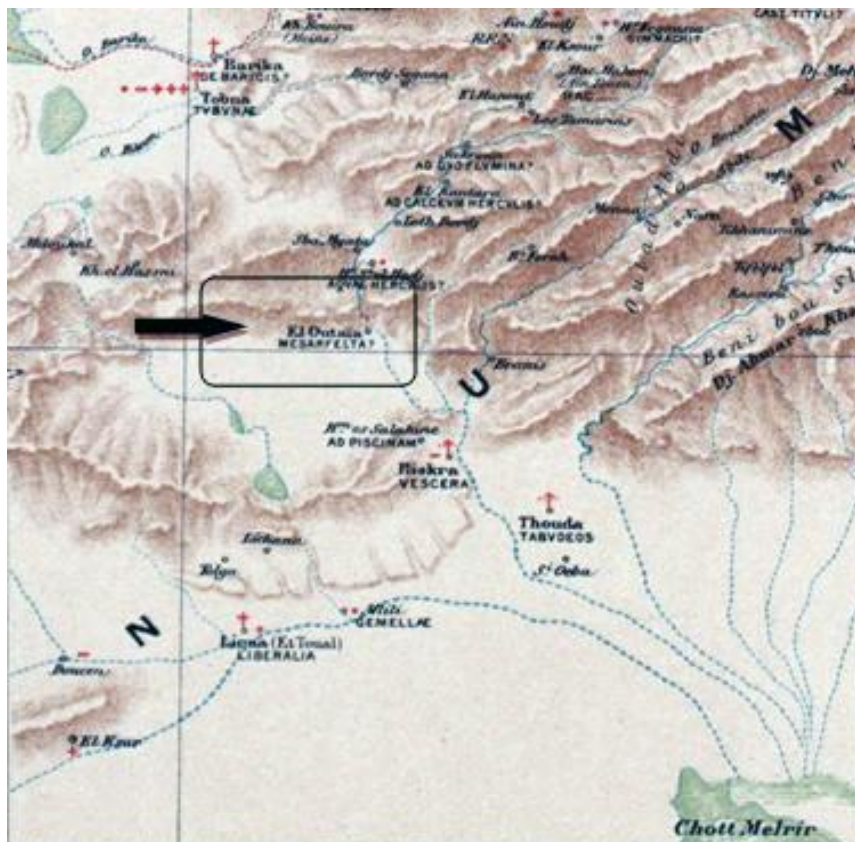
فكرة دراسة هذا الموضوع جاءت في إطار الخرجات الميدانية والتحري عن الموروث الثقافي الذي لا يزال يستحق العناية التامة وتنشيط والحفاظ من الجهات المعنية لكل ولاية من ولايات الوطن.

ترمي أهداف البحث إلى تحقيق دراسة الحضارات المتعاقبة على الموقع المكتشف من خلال المكتشفات الأثرية التي ظهرت بعد مد وجزر المنبع.

1. الإطار الجغرافي لدائرة لوطاية:

تقع دائرة لوطاية شمال عاصمة ولاية بسكرة وتبعد عنها بحوالي 26 كلم وتترجع على مساحة تقدر بحوالي 406.10 كم²، يحدها من الشمال كل من بلدية القنطرة وبلدية بيطام، ومن الجنوب مدينة بسكرة والحاجب، ومن الشرق البرانس وجمورة ومن الغرب بلدية طولقة، معظمها أراضي فلاحية واسعة تتميز بخصوبة تربتها ووفرة المياه، يسكنها حوالي 11 ألف نسمة.

عموما هذه المنطقة عبارة عن سهول تمتد على محور شرق غرب والمتمثلة سهوب لوطاية، والدوسن، وطولقة وسيدي عقبة، وسهل لوطاية محاط بسلاسل جبلية (يصل خط الطول فيها إلى ما



بين 5,5827334 وخط العرض 9768124 34°) ويتسع في الجهة الشرقية ويبدأ في التناقص كلما اتجهنا نحو الجهة الغربية وهو امتداد لسهل (سلقة) ويبلغ طوله 56000م وعرضه ب 27000م، أما ارتفاعه يكون في الجهة الشرقية نحو الجهة الجنوبية من 200م إلى 240م، وكلما اتجهنا نحو الشمال نلاحظ أن ارتفاع السهل متزايد ويعرف هذا السهل تعرية مائية ورياح نشطة (الخريطة 01).

الخريطة 01: تحديد موقع دائرة لوطاية بولاية بسكرة. عن: GSELL, S., 1997, F n° 37, n°7.

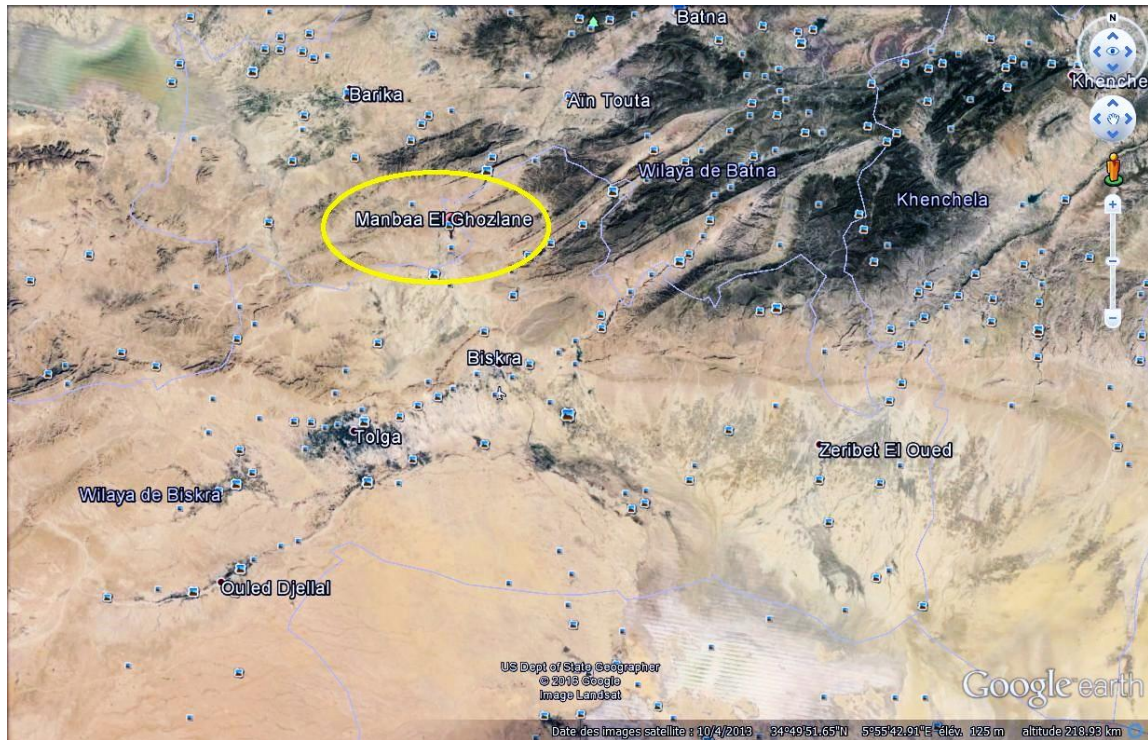
2. الإطار الجغرافي للموقع الأثري سد منبع الغزلان:



يتوضع سد منبع الغزلان -سمي بهذا الاسم من طرف سكان المنطقة، نسبة إلى وجود منبع مائي كانت تؤمه الغزلان- على سهول منطقة لوطاية وعلى الطريق الوطني رقم 03 الرابط بين مدينة بسكرة وباتنة ويبعد عن مقر الدائرة ب 13 كلم (موقع تابع لبلدية لوطاية) وعن مقر الولاية ب 38 كلم (الصورة 01).

الصورة 01: تمثل منظر عام لمنبع الغزلان. عن: مطروح أم الخير، 2016م.

هذا السد يحتوي على 55 مليون متر مكعب مخصص لسقي محيط المجموعة الأولى وتقدر مساحته بـ 800 هكتار وهي مخصصة للشباب في إطار استصلاح الأراضي، والمجموعة الثانية وتقدر مساحته بـ 400 هكتار وهي مخصصة للمستثمرين والمستصلحين ومزرعة دريس عمر وتقدر مساحتها بـ 1500 هكتار، بالإضافة إلى عدة أماكن مخصص للفلاحين الخواص حوالي 70 منقب فلاحي موزعون على محيط الضمرانية، وكدية جديدة (الصورة الجوية 01).



الصورة الجوية 01: تحديد موقع سد منبع الغزلان. عن قوقل إيرث.

يوجد الموقع الأثري المكتشف حديثا في الناحية الشمالية لدائرة وبلدية لوطاية، بمحاذاة الطريق المؤدي لدائرة بريكة ولاية باتنة، ويتربع على ضفاف سد منبع الغزلان على امتداد واسع من السد (الصورة الجوية 02).



الصورة الجوية 02: الموقع الأثري بسد منبع الغزلان. عن قوقل إيرث.

تم اكتشافه من طرف الفرقة الإقليمية للدرك الوطني بدائرة لوطاية إثر قيامهم بدورية عبر الإقليم، وعليه تم إخبار مديرية الثقافة لولاية بسكرة.

3. المعطيات التاريخية:

لا زال يكتنفه الغموض هذا الموقع الأثري حديث الاكتشاف، نظرا لقلة الدراسات التاريخية والأبحاث الأثرية، إلا من خلال المعاينة الميدانية والحفريات الأثرية التي تعطينا الدليل القاطع وتحدد هوية هذا الموقع الأثري، فهو ينتظر كشف النقاب عن هذا الإرث الحضاري والتاريخي الذي تزخر به المنطقة. وبناء على ما عثر عليه من عناصر معمارية ولقى أثرية، مما يؤكد لنا أن هذا الموقع كان مزرعة (ضيعة) من المزارع الرومانية.

إذ تعتبر الفترة الممتدة من منتصف القرن الثاني إلى نهاية القرن الثالث الميلادي¹، وهو ما يشمل الفترة الممتدة من تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م، حيث وضع الرومان أقدامهم في الأرض الإفريقية وتوغلوا في الصحراء. تلك كانت مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب القديم، لاسيما الجزء الشرقي منه أي الدولة النوميديّة باعتبارها إحدى أهم معاقل التصدي للاحتلال الروماني.

خصوصا في إقليمها الجنوبي المعروف بالأوراس أو الكتلة الأوراسية (وتشمل المنطقة الممتدة من النمامشة - تبسة- شرقا إلى جبال الحضنة غرباً ومن كيرتا شمالا إلى التخوم الصحراوية جنوباً عند

¹ - GUEY, J., 1939, pp. 178-248.

[illegible]

لقد كان خط الليمس مؤسسة بالغة التعقيد نظرا لمكوناته المختلفة وأنشطته المتنوعة، والتي تدل على طابع الهيمنة السياسية الرومانية من خلال إنشائها لخطوط اللمس لأغراض متعددة، إذ لم تقتصر على الجانب الأمني والعسكري الدفاعي فحسب، بل تعدت لتشمل الجوانب الاقتصادية لاسيما المجال الزراعي باستصلاح الأراضي واستغلالها، خاصة الواقعة في أقصى الجنوب بالتخوم الأوراسية وأطراف

6

الصحراء، إذ لا يمكن استبعاد ارتباط وتوغل الرومان نحو المناطق الجنوبية النوميديّة بتوفر شبكة المياه، العامل الأساسي لاستغلال الثروة الزراعية التي تدرها الأراضي الخصبة في تلك المناطق. ذلك ما أدى إلى تنامي حركة الاستيطان في الجنوب، مما جعل مؤسسة الليمس إحدى أهم آليات تكريس الهيمنة الرومانية على الأرض والإنسان⁴.

كما اعتمد الرومان على ثلاث آليات لتجميع المياه، حيث تمثلت الآلية الأولى في بناء السدود في مخائق ومضايق طبيعية تمر عليه الوديان المنحدرة نحو الجنوب مخترقة في معظمها جبال الأوراسية، ويتم نقل مياه تلك السدود عبر سواقي تسير إحدى ضفتي الوادي ومن ثمة الاتصال بالضيعات والمزارع والواحات القريبة منها، وقد وجدت الكثير من نماذج هذه السدود الموصولة بالسواقي منها آثار (سد وادي بريكة)⁵.

والآلية الثانية التي اعتمدها الرومان في تجمع المياه فتتمثل في الخزانات المقامة على المناطق المشرفة على الحقائق والمزارع، وفي الغالب تكون الخزانات قريبة من المنابع الطبيعية، كما استعملوا كذلك في بعض المنخفضات والأحواض الطبيعية لتجميع المياه واستخدامها كخزانات طبيعية مثل أحواض منطقة سبع مقاطع في وادي القنطرة قرب قرية منبع الغزلان وسد برانيس (Branis)، الذي كان يزود منطقة ذراع شيشة التي تدل آثارها على انتشار واسع لزراعة الزيتون، لاسيما في الشمال⁶.

إن المتفحص لشواهد المنتجات الزراعية في إفريقيا خلال العهود القديمة يكتشف المكانة التي حظيت بها المنتجات الزراعية خلال فترة الاحتلال الروماني منها: الزيتون التي كانت لها أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سواء في منطقة إفريقيا أو في الإمبراطورية الرومانية. وكان من أسباب التوغل الروماني في أراضي إفريقيا غربا وجنوبا وذلك بتوسيع مجال زراعة الزيتون وسن قوانين تشجع على استصلاح الأراضي، وإن آثار معاصر الزيتون ما هي إلا دليل على النشاط الذي عرفته هذه الزراعة⁷.

⁴ - HADJI, Y-R., 2015, p. 296.

⁵ - GSELL, S., 1997, F n° 37, n°7. ; Id., 1927.

⁶ - غانم، محمد الصغير، بدون تاريخ، ص ص. 70-71.

⁷ - شنييتي، محمد البشير، 1984م، ص ص. 91-97.

4. المعطيات الأثرية⁸ للموقع الأثري المكتشف:

بعد المعاينة الميدانية يبدو أن الموقع الأثري عبارة عن أرض فلاحية ذات أحراش وأشجار قائمة على ضفاف سد منبع الغزلان.

كما لاحظنا أن الموقع الأثري القائم قرب (سد منبع الغزلان) ثري بالعناصر المعمارية من هياكل معمارية تتمثل في حجارة مصقولة ذات زخارف هندسية (الصورة 01)، وجدران لا تزال مطمورة تحت الأرض بالتقنية الإفريقية لوجود الحجارة المنحوتة المستطيلة الشكل الموضوعة عموديا (الصورة 02) وعناصر معمارية تتمثل في عتبات مداخل (الصورة 03).



الصورة 01: عناصر معمارية منحوتة في مكانها الأصلي. عن: مطروح أم الخير 2016م.

⁸- مطروح أم الخير، 2016م.



الصورة 02: بقايا جدران مبنية بالتقنية الإفريقية في الموقع. عن: مطروح أم الخير 2016م.



الصورة 03: عتبات مداخل.
عن: مطروح أم الخير 2016م.

كما يبدو أن الموقع تعرض للنش عن الآثار من طرف أناس مجهولين في مكان باب لغرفة لا يزال كاملاً بكل عناصره (الصورة 04)، كما عثرنا على نماذج لمختلف عناصر معمارية من أجزاء لجذوع وقواعد أعمدة وصناعية من أجزاء لرحى تستعمل لسحق الحبوب كالقمح وما شابه لصنع الخبز وأجزاء لأحواض حجرية لغرض سحق المواد الغذائية (الصورة 05) وبقايا من قنوات صرف الزيوت (الصورة 06)، ونماذج من عناصر لمعاصر زيت الزيتون (الصورة 07) وكسر لأواني فخارية (الصورة 08) التي تعود للفترة الرومانية والإسلامية.



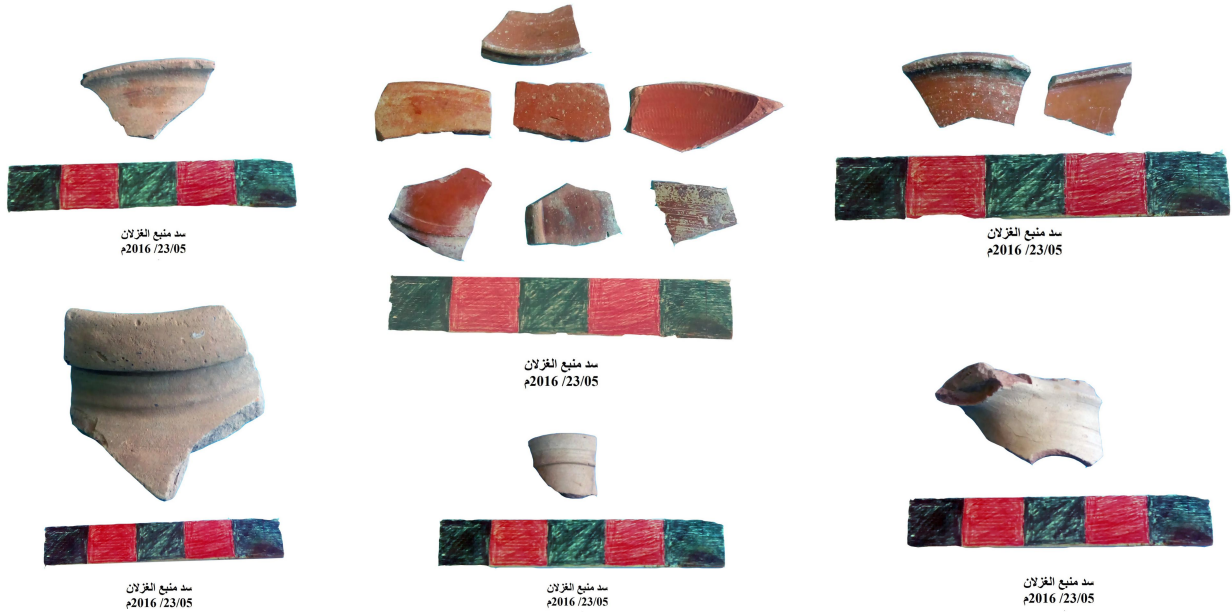
الصورة 05: نماذج لمختلف عناصر معمارية وصناعية. عن: مطروح أم الخير 2016م.



الصورة 06: بقايا من قنوات صرف
الزيوت. عن: مطروح أم الخير 2016م.

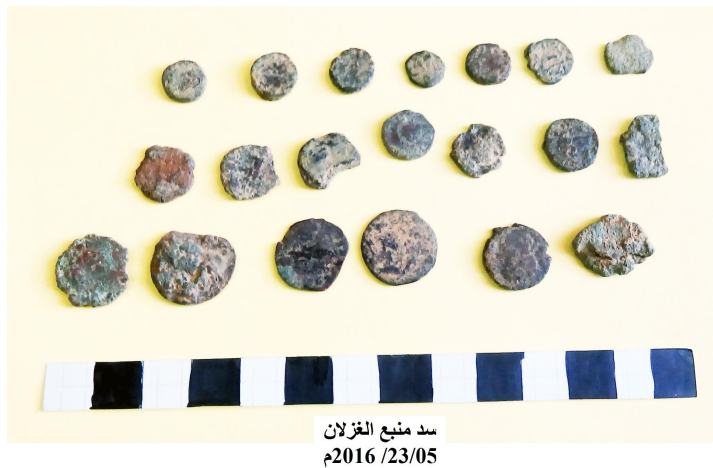


الصورة 07: نماذج من عناصر لمعاصر زيت الزيتون. عن: مطروح أم الخير 2016م.



الصورة 08: كسر لأواني فخارية. عن: مطروح أم الخير 2016م.

كما اخبرنا السيد خنفر خليفة رئيس جمعية السياحة لدائرة لوطاية، أنه عثر على مجموعة من المسكوكات في نفس الموقع الأثري (محور التحقيق)، ولسوء رداؤها لم نتمكن من تحليل رموزها، فقمنا بأخذ صور لهذه القطع (**الصورة 09**)، كما يود رئيس الجمعية تسليمها لمديرية الثقافة، لكن لعدم وجود متحف خاص بالولاية أو مكان خاص لحفظ هذه المخلفات الحضارية بمديرية الثقافة لولاية بسكرة، مما اضطره للاحتفاظ بها إلى حين وجود مكان آمن لحفظ هذه المقتنيات الأثرية.



الصورة 09: مجموعة من المسكوكات المكتشفة في الموقع. عن: مطروح أم الخير 2016م.

الخلاصة:

حسب هذه النصوص التاريخية والمعينة الميدانية وكثرت تواجد الأنصاب، يبدو أن موقع منبع الغزلان مزرعة (ضيعة) تعود للفترة الرومانية، كما يدل أن الموقع خصب لما له من علاقة بالنشاط الزراعي المتمثل في وجود أشجار الزيتون والقصب، ولا ننسى أن أراضي هذا إقليم الوطاية منبسطة وجد عني بالمواد الخصبة التي بدون شك كانت غنية بأشجار الزيتون إلى يومنا هذا، وما بقايا معاصر الزيتون لدليل على مدى غنى أراضيها من حيث الزراعة التي عرفت في فترة مضت ازدهارا لم يشهد له مثيل، وما يؤكد هذا الافتراض هو إجراء حفريات أثرية بهذا الموقع الحديث الاكتشاف ؟ للوصول إلى الحقائق التاريخية وإعادة كتابة تاريخ المنطقة. وجرى إحصاء ودراسة كل المخلفات البارزة على ضفة نهر في عين المكان، ثم نقلها إلى مكان آمن لحين إقامة متحف خاص بالولاية أو الدائرة حتى لا يضيع هذا الإرث الحضاري التي تزخر به منطقة بسكرة.

التوصيات:

في إطار دمج المعالم الأثرية في إطار المشاريع التنموية نقترح الخطوات التالية لإعادة بحث الحياة من جديد في منطقة سد منبع الغزلان الأثري من أجل تثمين هذا الإرث التاريخي الحضاري:

1. إقامة مسح أثري لكل المنطقة لجمع المعلومات التاريخية والأثرية.
2. أخذ التدابير اللازمة بإقامة حفريات استعجالية في الموقع الأثري في أقرب الآجال قبل ضياع هذا الإرث الحضاري.
3. تحديد الموقع الأثري وجعل خريطة توضح الحدود الأثرية للموقع الذي يعود للفتحات القديمة.
4. قراءة كل اللقى الأثرية الموجودة في عين المكان بالدراسة والجرد قبل النقل.
5. القيام بعملية توثيق بما له علاقة بالموقع التاريخي والأثري.
6. نظرا لثراء هذه المنطقة من مواقع أثرية وتاريخية ووجود لقي أثرية ذات أهمية كبيرة بشكل مكثف عبر كامل تراب الولاية، مما يستلزم إنشاء متحف لجمع وحفظ هذه المكتسبات التاريخية والأثرية التي تعود لفتحات حضارية قديمة وإسلامية وتاريخ الثورة.
7. نقل كل اللقى الأثرية والعناصر المعمارية الموجودة على الموقع إلى مكان آمن بدائرة لوطاية وهذا ما أكدته لنا السيد رئيس الدائرة.
8. القيام بالحفاظ التكاملي ويشمل أعمال الصيانة والترميم.
9. فتح حفريات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من مد السد على اليابسة.
10. تظافر الجهود من أجل إنقاذ هذا الموقع الأثري.
11. احترام طابع الموقع.
12. حفظ الصورة البصرية للموقع.
13. تشخيص مرئي للبيئة المحيطة به.

14. تسجيل الموقع الأثري في قائمة الجرد الإضافي طبقا للقانون 04 - 98 المتعلق بحماية التراث.

15. تقديم ملف كامل وتسجيل الموقع الأثري للتصنيف حسب ما ينص عليه قانون رقم 98-04 مؤرخ في صفر عام 1419هـ الموافق 20 جوان سنة 1998م المتعلق بحماية التراث الثقافي.

16. إعادة الاعتبار للموقع الأثري وذلك بتهيئته وجعله منطقة سياحية وذلك بقربه من المدينة السياحية القنطرة.

17. تهيئة المكان إلى منتج للراحة والاستجمام "بما يحمله من صفات حديقة أثرية"

18. التوافق بين الموقع والوظيفة الجديدة.

19. إثراء الأطلس الأثري للجزائر بالمواقع الأثرية المكتشفة حديثا.

وفي الختام يمكن القول أن هذه العملية "الاقتراحات" جزء لا يتجزأ من الحفاظ على التواصل الحضاري ككل، إضافة إلى أنها خطوة هامة في استغلال الممتلكات الثقافية.

قائمة البيبليوغرافيا:

1. شنييتي، محمد البشير، 1984م، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر، ص ص. 91-97.
2. غانم، محمد الصغير، بدون تاريخ، مقالات حول تراث بسكرة والتخوم الصحراوية، باتنة، ص ص. 70-71.
3. مسرحي، جمال، 2008م-2009م، المقاومة النوميديّة للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجا، مذكرة الماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة.
4. مطروح أم الخير، 2016م، تقرير معاينة ميدانية، المركز الوطني للبحث في علم الآثار، الجزائر، يوم 12 من شهر جوان.

5. GSELL, S., 1997, Atlas Archéologique de l'Algérie, F n° 37, n°7, Alger.

6. GSELL, S., 1927, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, V, Paris.

7. GUEY, J., 1939, « Note sur le limes Romain de la Numidie et le Sahara au IVe siècle », in Mélanges d'archéologie et d'histoire, 56, pp. 178-248.

8. HADJI, Y-R., 2015, « L'építaphe d'un soldat de la Cohors II Flavia Afrorum in Badias (Limes de Numidia) », in ZPE, 194, pp. 294-296.

9. SALAMA, P., 1951, Les voies romaines de l'Afrique du nord, Alger.